الفصل السّابع

المدارس العصرونيّة

أولاً: العصرونية في حلب.

ثانياً: عصرونية دمشق.

ثالثاً: عصرونية حماة.

رابعاً: عصرونية حمص.

خامساً: عصرونية بعلبك.

سادساً: عصرونية منبج.

سابعاً: عصرونية الرحبة.

obeikandi.com

obeikandl.com

استعمل هذا اللفظ «المدارس العصرونية» ليدلل على مجموعة من المدارس نسبت إلى شرف الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عصرون التميمي الشافعي الفقيه. وقد بناها له سلطان الشام نور الدين محمود زنكي اعترافا بفضله واكراما لشخصه..

وعبدالله هذا هو الجد الاكبر الذي ينسب إليه آل عصرون، ودعي بالجد الأكبر لأنه هو الذي اشتهر بالعلم في أول الأمر من هذه العائلة الكريمة ثم تبعه اولاده واحفاده فيما بعد.

وقد أضاف شرف الدين نفسه مدارس أخرى إلى هذه المجموعة واصبحت بعد ذلك معاً تعرف بالمدارس العصرونية. وسنتكلم عن هذه المدارس ما وسعنا الجهد واسعفتنا المصادر والمراجع.

ولا شك في ان شهرة هذه المدارس تأتي من شهرة من يدرس بها أو من شهرة من نسبت إليه واقصد به شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون نفسه. ولعل اثره في ميدان القضاء والسياسة هما من الأسباب الوجيهة التي كانت محصلتها الشهرة التي حازت عليها هذه المدارس.

وما دام ابن أبي عصرون مشهورا في ميادين الفقه والعلم والسياسة والقضاء فإن هذه الشهرة انسحبت على جملة ما ينسب إليه من المدارس. وظلت هذه المدارس تواصل شهرتها على مر الأيام حتى بعد ان خربت في الوقت الحاضر. ولا يزال اسم العصرونيّة يطلق على سوق أو شارع أو محلة للآن في دمشق وحلب، وهذا يفسر الشهرة التي حملتها هذه المدارس منذ انشائها حتى الآن.

أولاً : العصرونية في حلب :

هي مدرسة قديمة كبيرة منسوبة إلى شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون ويرجع بناؤها إلى ايام نور الدين محمود بن زنكي سلطان الشام ومصر واليمن المتوفى عام ٥٦٩هـ[١].

وتشير المصادر المعاصرة إلى ان هذه المدرسة كانت في الأصل داراً لأبي الحسن علي بن أبي الثريا وزير بني مرداس اصحاب حلب. ولما جاء نور الدين محمود بن زنكي إلى حلب اشترى هذه الدار وحوَّلها مدرسة وجعل فيها مساكن للمرتبين من الفقهاء والطلاب والخدم. واصبحت مؤسسة تعليمية تقدم الخدمات والسكن والراتب لمنسُوبيها من الطلاب والفقهاء وذلك عام «٥٥٠هـ»[٢].

---

(١) محمد اسعد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٢٢٦.
وقد ذكر: بجانب محمود نور الدين زنكي (٥٥٩هـ) وأظن انه اراد أن يقول سنة ٥٦٩هـ. وهي سنة وفاة نور الدين زنكي.
محمد كرد علي: خطط الشام ١٠٥/٦.

(٢) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة جـ/١ ق١ تحقيق سورديل، تاريخ دمشق ص ٩٨.
ابن العديم: زبدة الحلب ٢٩٣/١.
ويقول ابن العديم: ان ابن أبي الثريا هو وزير عطية بن مرداس.
ابن العديم: زبدة الحلب ٤٨/٢.
ويقول: ان هذا الوزير لتدخله في أمور العرش بعد عطية وميله إلى أبيه شعيب جعل الابن الآخر نصر يعمل على قتله عندما آلت إليه أمور الحكم في حلب.
وكان راكبا تحت القلعة في يوم من الأيام وهو في حشمة على بغلته وعمل في رجله حبل وجذب جثته من تحت القلعة إلى باب انطاكيا جزاء لما فعله بأبي بشر. وصدق فأل أبي بشر وكان نصرا قد اتهمه بانه اشار على والده ان يولي أخاه الاصغر شبيباً.
وكذلك قتل نصر ناجية بن علي أحد ولاة أبيه لنفس السبب. واستوزر نضر أبانصر محمد بن الحسن التميمي المعروف بابن النحاس الحلبي. =

وبعد ان أتم محمود نور الدين زنكي البناء استدعى لها شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون من سنجار من أرض الجزيرة الفراتية. وهنا لا بد لنا ان نتساءل كيف يتفق هذا التاريخ مع ما أجمعت عليه المصادر[1]، من ان نور الدين محمود قد استدعى شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون من سنجار عام ٥٤٥هـ، وبنى له المدارس ومنها عصرونية حلب هذه؟، وتواصل هذه المصادر ان شرف الدين هاجر إلى دمشق عام ٥٤٩هـ وظل يدرس بها مدة ثم عاد إلى حلب وظل بها حتى عام ٥٧٠هـ، ثم انتقل إلى دمشق وظل بها حتى موته عام ٥٨٥هـ كما مر.

وهناك حادثة تؤيد ان هذه المدرسة بنيت قبل عام ٥٥٠هـ وعلى الخصوص عام ٥٤٥هـ، وهي حادثة استدعاء شرف الدين بن أبي عصرون من الموصل أو سنجار ليتسلم مدرسته في حلب إثر الخلاف الحاصل فيها بين جماعة الفقهاء نهاية عام ٥٤٤هـ الذين انقسموا إلى قسمين: العرب والأكراد. فالعرب يحبذون وجود شرف الدين بن أبي عصرون والقطب

= أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م ص ٧٠.

ويقول: بنيت عام ٥٤٥هـ واستدعى لها ابن أبي عصرون من الشام وهو ما ذهبنا إليه ونؤكده لإتفاقه مع الواقع.

(١) أبوشامة: كتاب الروضتين ١/١٣.

يقول: ان محمود نور الدين استدعى شرف الدين بن أبي عصرون والقطب النيسابوري إثر اختلاف الفقهاء من العرب والاكراد بعد موت الفقيه المرادي المتوفى سنة ٥٤٤هـ خوفاً من وقوع الفتنة وَسُلِّم شرف الدين عصرونية حلب والنيسابوري مدرسة النضري. عام ٥٤٥هـ. وهذا يثبت أن بناء المدرسة عام ٥٤٥ هـ لا عام ٥٥٠هـ.

ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣/٥٣ ويؤيد ما قاله أبوشامة.

النيسابوري يحبذ وجوده الأكراد. وكحلٍ لهذا الأمر فقد استدعى نور الدين الاثنين حفاظاً على وحدة المسلمين وعدم انتشار الفوضى والضعف في الصفوف. وسلم ابن أبي عصرون عصرونية حلب وسلم القطب النيسابوري مدرسة النضري في حلب أيضاً، لتهدئة النفوس[1].

ثم لو ان هذه المدرسة بنيت عام ٥٥٠هـ لكان استدعى لها نور الدين شرف الدين من دمشق لا من سنجار أو الموصل. وما دام استدعاه من سنجار فان المدرسة بنيت عام ٥٤٥هـ وهو العام الذي قدم فيه شرف الدين بن أبي عصرون إلى حلب من سنجار أو الموصل.

ولم يقتصر تقدير نور الدين لابن أبي عصرون على استخدامه في التدريس فقط بل بنى له المدارس الكثيرة في كل من حلب ومنبج وحماة وحمص وبعلبك ودمشق.

ولكن مهما يكن من أمر فان المدرسة العصرونية في حلب تقع في محلة الفرافرة في المدينة على الجادة الكبرى شمالي جامع الحياث المعروف قديماً بالمدرسة الناصرية.

ونقل طلس عن الغزي في نهر الذهب ٢/١٤٠[2] أن الاعصار قد تغلبت على هذه المدرسة حتى ضاع معظم وقفها واشرفت على الخراب واغلق بابها مدة قرنين. ثم في حدود عام ١٢٨٠هـ عمَّر المتولي عليها قبلتها وبقيت

---

(١) أبوشامة: كتاب الروضتين ١/١٣.
الطباخ الحلبي: اعلام النبلاء ٢/٧٦ ناقلاً الحادثة عن ابن العديم.
محمد اسعد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص٢٢٦.
احمد بدوي: الحياة العقلية في بلاد الشام ص٧٠.
(٢) محمد اسعد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٢٢٧.

مغلقة حتى عام ١٢٩٩هـ حيث عمّر والي حلب جميل باشا من عائد وقفها مكاناً واسعاً على يمنة الداخل إليها، اتخذته الحكومة مكتباً ابتدائيا لتعليم الصبيان[١]. ثم عمَّر في جهتها الشرقية بعض الحجر صار يسكنها بعض الطلبة الغرباء ثم هجرت وصارت مسكناً للفقراء.

وقد خربت الأوقاف العصرونية عام ١٣٤٣هـ وأقامت بدلا منها دوراً للسكن يضاف ريعها لواردات الأوقاف العامة في المدينة[٢]. وقد وجد على باب المدرسة مكتوب «يتولى ابن أبي عصرون». وهذه المدرسة محصورة والدليل على ذلك ما تقدم من قول ابن شداد ان نور الدين قد جعل فيها مساكن للمرتبين بها[٣]. وفوَّض إلى شرف الدين ابن أبي عصرون ان يولي التدريس في العصرونية وبغيرها من مدارسه من شاء من العلماء شرط أن يكون أهلاً للتدريس[٤].

ومساحة سماوي المدرسة ٢٠ × ٢٠ ذراعاً. وفي الجهة الشرقية منها رصيف على طول السماوي في عرض بضعة أذرع. وفي الجهة الغربية اربع حجرات حديثة البناء. وفي الجهة الجنوبية قبلية في شرقها حجرة، وفي شرقيها باب يدخل منه إلى ميضأة واسعة. وفي غربي القبلية مغارة لها باب إلى السماوي.

---

(١) الطباخ الحلبي: اعلام النبلاء ٤/٢٨٣.

(٢) الطباخ الحلبي: المصدر السابق نفسه.
محمد كرد علي: خطط الشام ٦/١٠٥.
يقول: كان لها بقية حتى عام ١٣٤٣هـ اذ شرعت ادارة الاوقاف لخرابها وإقامة دور للسكن مكانها يضاف ريعها إلى الاوقاف العامة.

(٣) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة جـ١ق/١ ص٩٨.

(٤) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة جـ/١ ق/١ ص ٩٩.

واذا دخلت من باب المدرسة رأيت فسحة في جنوبيها فيها المكان الذي تعلم فيه الأطفال. وفي شماليها الغربي حوض عالٍ تجاهه بئر، وقد عمرت على مصيفها دار وفتح لها باب على الجادة(١).

ولكن للأسف فلقد خربت هذه المدرسة التأريخية عام ١٩٥٤م، عندما فتحت الطريق العام المار في المدينة(٢).

ويقول الطباخ الحلبي: وهذه المدرسة يدخل إلى داخلها بدرج ولها باب آخر من الغرب وبها قاعة لمدرسيها ووقف لها واقفها اوقافاً، حوانيت وقرى داخل حلب وخارجها(٣).

ثم بعد المحنة التيمورية لما قدم المؤيد إلى حلب جدد سوقها وجعله نصفين نصفاً للمدرسة العصرونية بحلب والنصف الآخر لمدرسته في القاهرة وذلك بطريق شرعي لأنه كان قادراً على استئجاره بأجرة بخسة وذلك باشارة من القاضي ناصر الدين بن البارزي كاتب سره، وقام بعمارته القاضي شهاب الدين بن السفاح ورتب الفقهاء على السوق المذكور. وفي عام ٨٧٠هـ كان عدد الفقهاء المرتبين يربو على المئة فقيه.

وقد أصاب هذه المدرسة الخراب اكثر من مرة فبعد انشائها بحوالي عشر سنين وفي اثناء مرض نور الدين محمود زنكي عام ٥٥٤هـ حصلت فتنة في حلب بين السنة والشيعة وكان بطلها أخ نور الدين امير ميران فطمع بالعرش واستمال الحلبيين وملك المدينة دون القلعة واذن للشيعة ان يزيدوا في الاذان

---

(١) محمد اسعد طلس: الآثار الإسلامية في حلب ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٢) محمد اسعد طلس: المصدر السابق ص ٢٢٨ حاشية ١.
(٣) الطباخ الحلبي: اعلام النبلاء ٤/٢٨٢.
(٤) ابن العديم: زبدة الحلب ٢/٣٠٩.

«حي على خير العمل» فثارت الفتنة ونهب الشيعة مدرسة ابن أبي عصرون في المدينة فيما نهبوا وخسر بعض مؤلفاته في تلك المدرسة(٤).

ويصفها صاحب كنوز الذهب(١) بأنها «روضة العلماء» وتقع شمالها المدرسة المنصُورية.

وليست هذه المدرسة هي الوحيدة التي تنسب إلى ابن أبي عصرون في حلب بل هناك حمامان لابن أبي عصرون وهما بسويقة حاتم بالأبارين احدهما تعطل وصارا وقفاً على رباط بالقدس وغزة. والآن لا يزال لفظ العصرونية يطلق عليها في حلب. ويسمى حمام النعيم(٢).

وقد ذكر طلس حماماً لابن أبي عصرون في ص ٢٦٩ نقلاً عن ابن شداد ان الحمامين في باطن حلب ثم نقل في ص ٢٧٣ انهما في ظاهر حلب. وعند العودة إلى الأعلاق الخطيرة لابن شداد(٣) رأيناه يذكر الحمامين بظاهر حلب(٤) وسمى أحدهما حمام ابن أبي عصرون والثاني حمام بني عصرون لظاهر حلب(٥). ويزيد ان هناك درب مدرسة بني عصرون أيضاً(٦).

وقف المدرسة:

تروي المصادر ان نور الدين زنكي قد ولّى شرف الدين بن أبي عصرون

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب ١/٢٩٣.
محمد اسعد طلس: الآثار الإسلامية ص ٢١٧.
(٢) محمد اسعد طلس: المصدر السابق ص ٢٦٩ حاشية ٦.
(٣) محمد اسعد طلس: المرجع السابق ص ٢٦٩ ٢٧٣.
(٤) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة جـ/١ق١ ص ١٣١.
(٥) المصدر السابق ص ١٣٤.
(٦) المصدر السابق ص ٦٠.

التدريس والنظر في مدرسته وغيرها من المدارس وفوَّض اليه أمر تعيين من يراه أهلاً لمهنة التدريس، ووقف عليها أوقافاً تكفي المصروفات المفروضة لهذه المدرسة. ووقف عليها حوانيت وقرى داخل حلب وخارجها[1].

ومن وقفها حمام العتيقة. ويعلق أبوذر على هذا بقوله: وهي الآن خراب بالقرب من خندق القلعة من جهة الغرب وهي وقف العصرونية[2].

ثم مر بنا ان المؤيد عندما حضر إلى حلب جدد سوقها (سوق العصرونية) وجعله قسمين: قسم يصرف ريعه على المدرسة العصرونية بحلب والقسم الآخر يصرف على مدرسة المؤيد في القاهرة[3].

ولا شك في أن أوقافها كثيرة وكانت تكفي المصروفات اللازمة بدليل ان المرتبين فيها عام ٨٧٤هـ كانوا يربون على المئة فقيه. وهذا يبرهن لنا على أهميتها ويلقي الضَوء على دورها في العملية التعليمية على مر العصور والأزمان.

مدرسو عصرونية حلب:

تولى شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون هذه المدرسة نظراً وتدريساً بتفويض من نور الدين زنكي وظل هذا يتولى هذين المنصبين حتى عام ٥٧٠هـ، حيث غادر حلب متوجهاً إلى دمشق.

ولما غادر حلب استخلف (نيابة) فيها ولده نجم الدين أبوالبركات عبدالرحمن. وظل هذا حتى ولي قضاء حماة فغادر المدينة والمدرسة متوجها إلى مقر وظيفته الجديدة واستناب في العصرونية ابن أخيه عبدالسلام ابن

---

(١) الطباخ الحلبي: اعلام النبلاء ٤/٢٨٢.

(٢) محمد اسعد طلس: الآثار الإسلامية ص ٢٧١.

(٣) الطباخ الحلبي: اعلام النبلاء ٤/٢٨٢.

المطهر بن عبدالله شرف الدين أبوسعد. وظل عبدالسلام يتولى نيابة التدريس في العصرونية حتى عاد إليه نجم الدين من حماة إلى حلب فأخذ تدريسها منه وذلك أيام الملك الظاهر غياث الدين غازي عام ٥٩٨هـ[١].

وظل نجم الدين مدرساً إلى ان رحل عن حلب إلى حماة ثانية حيث توفي فيها في ١٨ رمضان ٦٢٢هـ[٢] فاستلم التدريس بها بعد ذلك فخر الدين سرخاب بن الحسن بن االحسين الأرموي نيابة عن أبيه الشيخ شرف الدين ولم يزل مدرساً بها نيابة ثم استقلالاً إلى ان خرج من حلب عام ٦٠٥هـ متوجهاً إلى إربل[٣]. وهنا عاد شهاب الدين عبدالسلام بن المطهر ثانية إلى التدريس بها واستناب بدلا منه ولده قطب الدين احمد إلى أن توفي بدمشق عام ٦٣٢هـ[٤].

ولما توفي شهاب الدين ولي تدريس العصرونية في حلب كل من ولده قطب الدين أحمد وعز الدين عبدالعزيز بن نجم الدين عبدالرحمن بن شرف الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عصرون.

واستمر هذان في التدريس حتى حصلت منهما اعمالاً مخلة في شرف المهنة فعزلا وحبسا مدة. ثم اخرجا عام ٦٣٦هـ فقصد قطب الدين أحمد دمشق وأقام بها، بينما قصد عز الدين عبدالعزيز مصر واتصل بالصالح أيوب[٥] وسفر له مرتين إلى بغداد. وتوفي في المرة الثانية بالقدس في رمضان أو شوال عام ٦٤٣هـ[٦].

(١) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة جـ٣ ق١ ص ٩٩.
(٢) ابن شداد: المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة جـ٣ ق١ ص ١٠٠.
(٦) المصدر السابق نفسه.

وتـولى تدريس العصرونية في حلب بعد ذلك شرف الدين عثمان بن محمد بن أبي عصرون المعروف بالتركي مدَّة ثم رحل بعد ذلك إلى دمشق وتصـدر التدريس بعده نجم الدين أحمد بن عز الدين عبدالعزيز السالف الذكر. إلا أن هذا لم يكن نبيهاً محمود السيرة كفئا لعملية التدريس ولكنه بقي رغم ذلك يدرس بالعصرونية حتى مجيء التتار إلى حلب وحصلت الكارثة عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

ويبـدو أن المدرسة في زمنه بدأ ذكرها يخبو وسمعتها تنحدر لأن شهرة المدرسة من شهرة مدرسيها.

وقال أبو ذر في كنوز الذهب: وبعد المحنة التيمورية درس بالعصرونية في حلب شيخنـا المؤرخ دروساً حافلة سيما وان قصرُوه كافل حلب اعتنى بتعمير المدارس وترميمها فعمَّر شيخنا العصرونية ودرس بها دروساً تدل على سعة علمه وغزارته وسعة اطلاعه. وكان قد حضر معه الكافل وفضلاء حلب كوالدي (والد أبي ذر) والشيخ عبيد والشيخ بدر الدين بن سلامة ثم درس بها بعد شيخنا:

القاضي جمال الدين الباعوني وكانت أيامه أيام قطع حيث قطع معلوم كل من يأخذ معلوما من وقف المدرسة وبدأ بنفسه[1].

ثم درس بها الشريف الحسيني قاضي حلب ودرس بها دروساً بليغة تنم عن سعة اطلاعه وحسن ادائه وغزارة علمه وهو آخر من درّس بها في حلب[2].

ويقول الطباخ الحلبي ان التاج الكركي أخذ تدريس العصرونية بحلب

---

(١) الطباخ الحلبي: اعلام النبلاء ٤/٢٨٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وذلك لينكشف عن طلب القضاء[1].

وبين قول ابن شداد السابق وقول أبي ذر في كنوز الذَّهب ذكرت المصادر عدداً من الذين مارسوا عملية التدريس في عصرونيَّة حلب لا بأس ان نأتي على ذكرهم ومنهم:

حجة الدين أبوجعفر النحوي اللغوي محمد بن عبدالله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي[2] المولود في مكة. وقد تنقل ما بين مصر والمهدية في شمال أفريقيا وصقلية ثم مصر وحلب وأقام بالمدرسة العصرونية وصنفا كتباً قيمة في علوم شتى كالتفسير، ثم جرت الفتنة بين السنة والشيعة والظن انها فتنة عام ٥٥٤هـ فأصابه سوء وخسر جزءاً من مؤلفاته فرحل إلى حماة وظل بها إلى أن توفي عام ٥٦٥هـ[3].

والظاهر انه لقي الرعاية في حماة وأجري له راتب شهري وصنف مصنفاته الكثيرة حتى مات. وكان مشهورا باللغة اكثر من النحو ولا بأس ان نذكر طرفاً من مؤلفاته وهي:

ينبوع الحياة في التفسير، التفسير الكبير، الاشتراك اللغوي، الاستنباط المعنوي، سلوان المطاع، القواعد والبيان في النحو، الرد على الحريري في درة الغواص. اساليب الغاية في احكام آيه. المطول في شرح المقامات، التنقيب على ما في المقامات من الغريب، ملح اللغة فيما اتفق لفظه واختلف معناه على حروف المعجم. خبر البشر بخير البشر، نجباء الأنبياء، معاتبة الجريء

---

(١) المصدر السابق نفسه ٤/٣٩٦.
(٢) السيوطي: بغية الوعاة جـ١/ ١٤٢ - ١٤٣. ياقوت. معجم الادباء ١٩/٤٨.
(٣) السيوطي: بغية الوعاة ١/١٤٢.
الحموي: معجم الادباء ١٩/ ٤٨ - ٤٩.

على معاقبة البريء، اكسير كيمياء التفسير، أرجوزه في الفرائض والولاء وغير ذلك(٣).

وابـراهيم بن عمـر بن المنجا التبريزي الحلبي الملقب جمال الدين بن الحكم، والمولود عام ٦٩٠هـ. وتفقه ببلده على مشايخها وبرع ثم ناب في القضاء بحلب عن الكمال المصري. وكان هذا مدرساً بالعصرونية فناب عنه إبـراهيم بن عمـر. وسمع إبراهيم من الواد آشي وحدَّث عنه. وسمع منه أبوبكر بن المخصوص، ومات تقريباً حوالي ٧٧٠هـ(١).

ورشيد بن كامل الرقي المولود عام ٦٢٥هـ، وكان هذا قد اشتهر بالفقه والأدب وسمع من شيوخ عصره كابن مسلمة ومكي بن علان وغيرهما ثم تولى كتابة ديوان الانشاء ودرّس في العصرونيَّة بحلب واصبح بعد ذلك شخصية متميزة في المجتمع الحلبي حيث تولى وكالة بيت المال وهو منصب مالي مرموق لصاحبه أهمية خاصة(٢).

وقد مدحه الذهبي بقوله: «كان ذا عقل وصيانة وله النظم والنثر وولي نظر الحسبة بدمشق»(٣).

وقال ابن الزملكاني: «كان عنده أدب وفضل وكان حسن النظم والنوادر وولي ديوان الإنشاء مدة ثم ولي وكالة بيت المال بحلب وكان قليل الشروحات مات بحماة عام ٧١١هـ(٤).

---

(١) السيوطي: المصدر السابق ١/١٤٣.
الحموي: المصدر السابق نفسه.
(٢) العسقلاني: الدرر الكامنة ١/٥٢.
(٣) العسقلاني: الدرر الكامنة ٢/١١٠.
(٤) العسقلاني: نفس المصدر.
(٣) المصدر السابق نفسه.

ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبدالقاهر بن هبة الله الحلبي المعروف بابن النصيبي تاج الدين أبي المكارم المولود عام ٦٤١هـ، تفقه للشافعي وتتلمذ على مشايخ عصره كابن العجمي وغيره، ودرَّس بالعصرونية وولي وكالة بيت المال وكتابة الدرج وكان من الرؤساء المشهورين، توفي في ذي القعدة عام ٧١٥هـ[١] عن عمر يناهز الرابعة والسبعين.

قال الذهبي: كان مدرس العصرونية ووكيل بيت المال وولي مرة نظر الاوقاف وكتابة الانشاء[٢].

وشيخ زادة ابن جمال الدين احمد بن نعمة الله بن جنيد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن مسعود بن عبدالله الأنصاري الشهير، جده الاعلى شيخ الإسلام الهروي صاحب منازل السائرين نزيل حلب.

وكان قد تفقه على المذهب الشافعي ونزل حلب وولي بها تدريس العصرونية، وكان يتعاطى الكيف وهو مستغرب من مثله. وقد أثر في سحنته. وابوه من شيوخ العلم المشهود لهم، ومن بيت الرئاسة والعلم وتوفي في حلب عام ٩٦٧هـ[٣].

ثانيا: عصرونية دمشق:

تقع هذه المدرسة داخل بابي الفرج والنصر شرقي القلعة وغربي الجامع بمحلة حجر الذهب[٤] عند سويقة باب البريد. ويزيد ابن كثير «قبالة داره»

---

(١) المصدر السابق جـ٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) الذهبي: ذيول العبر ص ٨٥.

(٣) الغزي (نجم الدين): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة تحقيق جبرائيل جبور دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ط/٢ سنة ١٩٧٩ ٣/ص ١٥٩. في ثلاثة اجزاء.

(٤) النعيمي: الدارس ١/ ٣٩٨.
عبدالقادر بدران: منادمة الاطلال ص ١٣١. =

دار عبدالله بن أبي عصرون، بينهما عرض الطريق(١).

وذكر النعيمي ان داره في زمنه قد أصبحت قيسارية العمارة للغير والأرض لذريته لا للمدرسة، وبقي آثار عمارته خراباً(٢).

ويقول الشيخ عبدالقادر بدران في منادمة الاطلال: وهي الآن (في زمنه) بسويقة العصرونية في الجانب القبلي منها وهي مشهورة. وقد اخذت السويقة اسمها من اسم المدرسة العصرونية وصاحبها. وقد تناولتها أيدي المختلسين على مر الأيام. ثم استخلص احد المخلصين قسماً منها وحوله مسجدا. وليس بها الآن سوى بركة ماء في ساحتها وايوان للصلاة في الجهة القبلية. والمدرسة ينـزل اليهـا بدرج. وتحـول ما بقي منهـا إلى حوانيت للبيع والشراء(٣). والقيسارية المشار إليها سابقاً قد تحولت هي الأخرى بدورها إلى خان لربط الدواب(٤).

وقـد انشـأهـا الفقيه العـلامة قاضي القضاة شرف الدين عبدالله بن محمد بن أبي عصرون السابق ذكره. وقد بنى له نور الدين عدة مدارس في حلب ودمشق وحماة وحمص وبعلبك ومنبج وبنى لنفسه مدرسة بحلب وأخرى بالشام (دمشق).

وأما بالنسبة إلى بناء مدرسة له في حلب فلم أجد في المصادر المتوفرة انه بنى لنفسه مدرسة في حلب بل مدرسة حلب فالثابت أنّهُ بناها نور الدين

= محمد كرد علي: الخطط ٨٦/٦.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٣/١٢.
عبدالقادر بدران: المرجع السابق نفسه.

(٢) النعيمي: الدارس ٣٩٨/١، مصدر سابق ذكره.

(٣) عبدالقادر بدران: منادمة الأطلال المرجع السابق نفسه.

(٤) عبدالقادر بدران: المرجع السابق نفسه.

لشرف الدين عبدالله بن أبي عصرون كما مر[1]. وأما بالنسبة لمدرسة دمشق فقد وردت نصوص تفيد انه أي شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون قد بنى لنفسه مدرسة بدمشق بالاضافة إلى النصوص التي تفيد بان نور الدين قد بنى له مدرسة في دمشق.

والذي نراه حسب النصوص ان مدرسة دمشق هذه بناها ابن أبي عصرون ولا يمنع ان يكون نور الدين قد بنى له غيرها في دمشق. ولكننا لم نسمع المصادر تفصح عن مثل هذا مما يجعلنا نقبل مؤقتاً بان شرف الدين بن أبي عصرون هو باني العصرونية بدمشق.

وقد حرقت هذه المدرسة العصرونية بدمشق عام١٣٢٨هـ. ١٩١٠م. ولم تعد إلى ما كانت عليه وبقي اسم السوق منسوباً إليها وَرُمَّ قبر من أسسها بعض الشيء[2]. وجاء في مخطط المنجد أنها قد أُحرقت عام ١٩١٠م. ١٣٢٨هـ ولم يعد بناؤها واليها ينسب سوق العصرونيَّة حتى يومنا هذا[3].

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب ١/٢٩٣، ٢/٤٨.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٥٣ ويقول بنى له نور الدين المدارس في حلب وحماة وحمص وبعلبك ولم يذكر دمشق مما يؤيد ان باني عصرونية دمشق هو شرف الدين عبدالله بن ابي عصرون وهذا ما ذهبنا إليه ونرضاه.
ابن شداد: الاعلاق الخطيرة جـ/١ ق/١ ص٩٨.
النعيمي: الدارس ١/٤٠١ ويقول: بنى نور الدين المدارس في حلب وحماة وحمص وبعلبك لعبدالله بن أبي عصرون. وهذا بنى لنفسه مدرسة في حلب واخرى في دمشق. ولم اجد في ابن خلكان انه بنى مدرسة له في حلب بل بناها نور الدين وهو بنى لنفسه مدرسة دمشق العصرونية.
(٢) محمد كرد علي: خطط الشام ٦/٨٦ نفس قول المنجد في حاشية النعيمي ١/٣٩٩.
(٣) النعيمي: الدارس ١/٣٩٩ حاشية.

الوقف:

عشر قراريط ونصف قيراط في قرية هريرة (٣٠ كم شمال غرب دمشق) وفي بعلبك مزرعتان معروفتان بدير النبط (دير النبط على بعد ١٠٠ كم من بعلبك) وقدرهما عشرة قراريط، شركة الخانقاه السميساطيَّة، ومزرعة قرية حمارا بالمرج الشمالي، ومساحتها قيراط ونصف وربع القيراط، ومنه بالثابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي[١].

وشرط في كتاب الوقف ان لا يزاد في عدة فقهائها عن عشرين شافعياً وغيرهم، وأن التدريس فيها يكون وقفاً على ذرية الواقف شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون ويستناب عن غير من لم يكن منهم أهلاً للتدريس. وان يدرس بها من تصانيف الواقف الآتي ذكره: «الانتصار» وغيره لا من تصانيف الشريف فان تعذر من تصانيفه فيدرس فيها بالخلاف وان يكون لكل من ارباب وظائفها كذا وكذا من القراطيس. وهذا ما أخبر به أقضى القضاة نور الدين ابن منعة الحنفي زوج بنت من ذرية الواقف تسمى زينب وتوفيت في مكة عام ٦٢٠هـ، ولها بنت اسمها بركة[٢].

المدرسون في عصرونية دمشق:

شغل منصب التدريس في العصرونية بدمشق عدة مشايخ وعلماء أجلاء أفاضل نرى لزاماً علينا أن نعرف بهم ما امكننا البحث إلى ذلك.

وأول من زاول مهنة التدريس فيها بلا شك بانيها شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون. ثم من بعده ولداه قاضي القضاة محيي الدين محمد

(١) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ١/٣٩٨ ـ ٣٩٩.
بدران: منادمة الأطلال ص١٣١.
(٢) المصدران السابقان: النعيمي ١/٣٩٩.
بدران: ص ١٣٢.

ونجم الدين أبوالبركات عبدالله . ثم من بعده ابن ابنه المطهر بن أبي عصرون المدعو شهاب الدين عبدالسلام المتوفى عام ٦٣٢هـ[١] .

وكان ينوب عن عبدالسلام بالتدريس نجم الدين ابن الشيرجي المتوفى عام ٦٥٧هـ، وهو الصدر نجم الدين مظفر بن محمد بن الياس الانصاري الدمشقي . وقد ولي تدريس العصرونية بالنيابة والوكالة ثم ولي الحسبة ونظر الجامع[٢] .

وهنا نلاحظ ان شرط الواقف مطبق هنا لأن منصب التدريس محصور في نسل شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون باني المدرسة ولكن في حالة عدم أهلية احدهم يستناب عنه .

ثم درّس فيها بعد ذلك شرف الدين عثمان بن محيي الدين محمد بن عبدالله بن أبي عصرون شرف الدين عبدالله أبو سعد الجد الأكبر لآل عصرون ولعدم أهليته كان ينوب عنه علم الدين أبو القاسم الأندلسي النحوي[٣] .

ولما توفي شرف الدين عثمان عام ٦٥٨هـ وليها ولده كمال الدين محمد المعروف بالجنيد ثم وليها بعده شرف الدين محمد بن ناصر بن أبي عصرون وبعده تولى أمر التدريس فيها قطب الدين أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن عبدالله بن أبي عصرون[٤] .

وتولى التدريس في هذه المدرسة بعد ذلك محيي الدين أبو الخطاب عمر بن أبي عصرون المتوفى عام ٦٨٢هـ والسابق الذكر.

---

(١) النعيمي : الدارس ١/٤٠٢ .

(٢) النعيمي : الدارس ١/٤٠٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المصدر السابق نفسه .

وممن تولى التدريس في العصرونية بدمشق جماعة كثيرة منهم:

أحمد بن محمد بن نصر الله تاج الدين الحمويٰ الشافعي، وكان فاضلاً فقيهاً وتولى منصب مشيخة الشيوخ ودرَّس بالعصرونية، وتوفي عام ٦٨٧هـ[١].

وشمس الدين ابن غانم، وهو شمس الدين محمد بن سليمان بن حمايل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم. وكان من أعيان الناس واكثرهم مروءة تولى التدريس في العصرونية وتوفي عام ٦٩٩هـ، وقد جاوز الثمانين وهو والد علاء الدين بن غانم.[٢] وقيل مات عام ٧٠١هـ.

والإمام جمال الدين القلانسي، وهو أحمد بن محمد ابن القلانسي عاش في الفترة ما بين ٦٦٩-٧٣١هـ[٣].

وأمين الدين محمد بن جمال الدين ابن القلانسي الذي عاش (٧٠١-٧٦٣هـ) وهوأبوعبدالله محمد. وقد اجاز له شرف الدين الحافظ الدمياطي وآخرون. وحدّث عن جماعة، ثم ولي قضاء العسكر بدمشق، ووكالة بيت المال ودرَّس بالعصرونية ثم اصبح كاتباً للسر عوضا عن القاضي ناصر الدين بن شرف الدين يعقوب الحلبي، ومشيخة الشيوخ ودرَّس بالناصرية والجوانية والشامية الجوانية[٤]. وعزل عام ٧٦٢هـ واوذي

(١) النعيمي: الدارس ١/٤٠٣ نقلاً عن الذهبي.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/٣٣٢ - ٣٣٣، ١٤/١٤.
النعيمي: الدارس المصدر السابق نفسه.
محمد اديب آل تقي الدين الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق ٣ أجزاء في مجلد واحد. دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩م ص ٥٢٣.

(٣) النعيمي: الدارس ١/١٩٧.

(٤) النعيمي: الدارس: ١/١٩٩، ٤٠٤، ٣٠٧. =

وصودر[1].

وقد ترك تدريس العصرونية له عمه علاء الدين بن القلانسي والذي تولى تدريسها عوضاً عن أخيه جمال الدين السالف الذكر وذلك عام ٧٣٢هـ[2].

والعالم جمال الدين المفتي المدرس القاضي أبوالمحاسن يوسف بن الإمام العلامة الزاهد الورع شيخ الشافعية شمس الدين محمد القاضي نجم الدين عمر الأسدي المعروف بابن قاضي شهبة والذي عاش في الفترة ما بين عامي ٧٢٠-٧٨٩هـ.

وكان قد تفقه على والده وجماعة واشتهر بالإفتاء وقد نزل له والده عن وظائفه ومنها تدريس العصرونية. اذن فالوالد وولده هما من مدرسي

= فلما كان في اثناء عام ٧٦٢هـ أعيْد ناصر الدين المذكور إلى كتابة السر في دمشق وأهين أمين الدين وصودر على نحو ثمانية آلاف دينار، وباع جميع ما يملك حتى الوظائف ثم أفرج عنه فطرح الرئاسة وصار يمشي من غير أبهة ودام على ذلك سبعة شهور ثم ضعف يومين ومات في ربيع آخر عام ٧٦٣هـ كمداً.
وقال ابن كثير: هو آخر من بقي من رؤساء دمشق انظر البداية والنهاية ١٤/٢٩٢.
وابن كثير هنا يضيف معلومات مع ما اورده ابن حجر العسقلاني فيما بعد حيث يقول:
تولي أمين الدين تدريس العصرونية عام ٧٣٦هـ ويقول صودر على مبلغ ٢٠٠ ألف دينار.
النعيمي: الدارس ١/٣٠٨.

(١) العسقلاني: الدرر الكامنة ٣/٣٦٢ ويقول: في عام ٧٦٠هـ تولى أمين الدين محمد كتابة السر بدمشق عوضاً عن ناصر الدين وانتقل ناصر الدين إلى كتابة السر في حلب عوضاً عن الصفدي. وانتقل الصفدي إلى دمشق وكيلاً لبيت المال وموضع الدست.

(٢) ابن كثير: البداية ١٤/١٥٦، ٢٩٢.
النعيمي: الدارس ١/٤٠٤، ٣٥٢.

العصرونية في دمشق. وظل جمال الدين يوالي التدريس والافتاء حتى انتقل إلى جوار ربه عام ٧٨٩هـ[١].

والشيخ شهاب الدين الزهري، وهو شهاب الدين بقية السلف الصالح صدر المدرسين شهاب الدين أحمد أبوالعباس بن صالح بن أحمد بن خطاب بن ترجم العلوي الزهري البقاعي الدمشقي (٧٢٢-٧٩٥). ورد دمشق وهو صغير وسمع بها من الشيوخ كالبرزالي والمزي ثم رجع إلى بلده. ثم قدم ثانيةً وهو في سن الأربعين ولازم فخر الدين المصري ثم بهاء الدين أبوالبقاء القاضي وكان يقرىء اولادهما واخذ عن شمس الدين بن قاضي شهبة كذلك وعن غيره من مشايخ العصر. واخذ الاصول عن الشيخ الاردبيلي ثم بهاء الدين الأخميمي وبرع واصبح أهلاً للافتاء عام ٧٥٣هـ. وقد درّس في عدة مدارس منها العصرونية، نزل له عنها ابن قاضي شهبة في ربيع عام ٧٩٩هـ. وناب في القضاء عن البلقيني ثم عن كمال الدين الغزي وظل يدرس، ويلاحظ انه ولي القضاء والتدريس معاً ٧٩٢هـ مدة شهر ونصف ثم انعزل بانعزال من ولاه وهو الأمير منطاش. وظل منقطعاً حتى وفاته عام ٧٩٥هـ[٢]. ودرّس كذلك في العادلية الصغرى وغيرها.

وتقي الدين أبوبكر الفقيه الفرضي وشهاب الدين أبي العباس أحمد بن شيخ الشافعيَّة، شمس الدين محمد السابق الذكر مرة ثانية.

والشيخ تقي الدين الاذرعي أحد التقاة المشهود لهم.

وبدر الدين بن قاضي شهبة.

---

(١) النعيمي: الدارس ١/٤٠٤ - ٤٠٥، ٤٥٤.

(٢) النعيمي: المصدر السابق نفسه بالاضافة إلى ص ٣٧٠.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ١١٩ - ١٢٠.

وبرهان الدين النفراوي.

والقاضي محيي الدين بن غازي.

وشهاب الدين، احمد محمد بن محمد المقدسي الواعظ المتوفى عام ٩٠٥هـ[١] ويجب ان لا ننسى ان علاء الدين ابن القلانسي أخ جمال الدين السابق الذكر هو وابنه قد درسا في العصرونية بدمشق. وهو عم أمين الدين ابن القلانسي السابق الذكر وتوفي عام ٧٣٦هـ[٢].

وفي عام ٧٣١هـ وصل الخبر بتولية القاضي جلال الدين ابن القلانسي مناصب أخيه جمال الدين ومنها تدريس العصرونية والظاهرية والأمينية عوضاً عن أخيه علاء الدين السابق الذكر قبله[٣].

المعيدون في عصرونية دمشق وعملها:

ذكرت المصادر المتوفرة فئة ممن تولوا الاعادة على كبار المشايخ في عصرونية دمشق نذكر منهم:

شهاب الدين بن حجي الحافظ العالم المتقن ذو الخصال الكريمة الزكية والاخلاق المرضية وهو شيخ الشافعيَّة شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن سعدي الحسباني الأصل الدمشقي المولد. مولده عام ٧٥١هـ بخانقاه الطواويسية بالشرف الأعلى ظاهر دمشق.

قرأ القرآن على شمس الدين بن حبشي وختمه واخذ عنه علم الميثاق وسمع عدة منهم: أبوالفضل بن عساكر درس وأعاد بالعصرونية وبغيرها من

(١) النعيمي: الدارس ١/٤٠٥.
(٢) النعيمي: الدارس ١/١٩٨.
(٣) النعيمي: الدارس ١/١٩٩.

المدارس[1].

ونضيف مجموعة من العمال والموظفين منهم عبدالرحيم بن إبراهيم بن كامیار القزويني ثم الدمشقي، زين الدين المولود عام ٦٥٠. أجاز له عثمان بن خطيب القرافة والفقيه أبوعبدالله اليونيني وعبدالله بن الخشوعي وغيرهم حدَّث بالكثير وخرَّج له البرزالي جزءاً وكان صالحاً خيرا من طلبة دار الحديث الأشرفيَّة وكان عاملاً في العصرونية، وانتقل إلى جوار ربه في ١٣ صفر عام ٧٤٣هـ، وهو آخر من حدّث عن خطيب القرافة[2].

وممن تولى نظارة المدرسة بالاضافة إلى شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون السيدة بركة بنت القاضي ابن منعة، وزوجة القاضي شمس الدين الشيخ عيسى الفلوجي، وحماة القاضي أبي اليمن بن الخيضري. ولما ماتت دفنت بالروضة شرقي صفَّة الدعاء. وذلك بعد وفاتها يوم الاثنين ١٨ ذي القعده من عام ٩٢٥هـ، اكتوبر ١٥١٩م[3].

وهنا يعلق العلموي[4] على تسليم التدريس في العصرونية لغير ابناء شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون وابنائهم قائلا: ان ذلك يخالف شرط الواقف ثم قال: «وكأنه والله أعلم لما انقطعت الذرية من العلم بينهم في التدريس من ليس من الذرية كأحمد بن نصرالله وشمس الدين بن غانم وجمال الدين القلانسي فولده أمين الدين وامثال من يأكلون حراماً. وقد كان ذلك سائغاً لو تعذرت الذرية».

---

(١) النعيمي: الدارس ١/٣٨ - ١٤٣.

(٢) العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢/٣٥٢.

(٣) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان في تاريخ مصر والشام وهو قسمان: وزارة الثقافة والارشاد القاهرة المؤسسة المصرية العامة ١٣٨٤/ ١٩٦٤م. ٢/٨٩.

(٤) بدران: منادمة الأطلال ص ١٣٢.

ثالثاً: عصرونية حماة:

تقع هذه المدرسة في باب حمص على ضفة العاصي قرب بستان الجبل. وكانت داراً للقرآن ولها جامع وداران متصلان بها. وتتصدر جدارها الأمامي كتابة حجرية مفادها: ان الأمير نجم الدين التوتان بن ياروق انشأ هذه المدرسة عام ٥٨٤هـ وعمر مسجدها وكتب عليها:

أمر بعمل هذه الدار، السيد الفقير إلى الله محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي خلا قبلها وما استثنى جعلها داراً للقرآن ووقف عليها اوقافاً كثيرة، وذلك لتقوم بأود من يسكن هذه الدار من فقراء المسلمين الغرباء الذين يقيمون فيها ليلاً ونهاراً، يتلون كتاب الله ويتذاكرونه بينهم ويدعون للواقف ولوالده وللمسلمين. وقد قرر الواقف وجود شيخين يعلمان النزلاء القرآن الكريم. ويكون مقام الفقير خمس سنوات فيها فإن ختم القرآن أو انقضت المدة المعينة يكسى ثوبا أو جبة خالصة لوجه الله الكريم[1].

وذكرنا من قبل بناء على ما توفر لنا من مصادر أن باني هذه المدرسة هو محمود نور الدين زنكي اكراماً لشرف الدين عبدالله بن أبي عصرون وعرفاناً بفضله وذلك قبل عام ٥٦٩هـ، سنة وفاة نور الدين محمود بن زنكي نفسه.

ومن المحتمل ان يكون الأمير نجم الدين التوتان بن ياروق قد انشأ هذه المدرسة بأمر من نور الدين محمود قبل وفاته ٥٦٩هـ. والاَّ فإن ما أضافه نجم الدين يكون بعد وفاة نور الدين لينسب المدرسة إليه.

وقد ذكر ابن جبير اثناء رحلته ومروره بحماة أن بها ثلاث مدارس لا شك

---

(١) محمد كرد علي: خطط الشام ٦/١٢٦.
احمد الصابوني: تاريخ حماة ط/٢ المطبعة الاهلية بحماة، ص ١١٢.

في أن احدها العصرونية لأن زيارته كانت في حدود ٥٨٠هـ[١].

وقد فوَّض نور الدين شرف الدين عبدالله بن أبي عصرون النظر في مدارسه كلها ومنها مدرسة حماة واوكل إليه يقين من يراه مناسباً للتدريس[٢].

واشهر من درَّس في عصرونية حماة، تاج الدين بن المغيزل الحموي أحمد بن محمد بن محمد بن نصرالله أبوالعباس العبدي الحموي الشافعي المولود عام ٦٠٢هـ وقد سمع من ابن رواحة ومات بحماة عام ٦٨٧هـ[٣].

وكان تاج الدين فقيها مفتيا مدرساً ولي مشيخة الشيوخ بحماة ودرّس بالعصرونية. وكان مشهورا بالدين والورع وله مهابة في النفوس ترك مناصبه لأولاده من بعده واشتغل بنفسه واولاده هم:

ناصر الدين، وفخر الدين، وزين الدين واشهرهم ناصر الدين.

وممن درّس في العصرونية بحماة أيضاً عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن نصرالله الزاهد، ناصر الدين ابن الشيخ احمد تاج الدين بن المغيزل المار ذكره. واشتغل كثيرا وأصبح أهلا للتدريس فدرس بالعصرونيَّة. وكان دينا متواضعاً عابداً كأبيه زاهداً في الحياة مات أواخر جمادى الآخرة عام ٧٠٧هـ[٤].

ومنهم علي بن أبي بكر البعلبكي المعروف بابن اليونيني نزيل حماة ومدرس العصرونية فيها. وقد اشتهر بالفضل والعلم والافادة وظل كذلك

---

(١) ابن جبير: رحلته ص ٢٣١.
(٢) أحمد بدوي: الحياة العقلية في بلاد الشام ص ٧٢.
(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ٨/١٢٣.
(٤) العسقلاني: الدرر الكامنة ٢/٣٢٥.

حتى وفاته عام ٧٧٨هـ[١].

رابعاً: عصرونية حمص:

ومر بنا كذلك ان نور الدين قد انشأ المدارس لابن أبي عصرون في حمص وغيرها من بلاد الشام.

وقد ذكر ابن جبير اثناء رحلته حوالي ٥٨٠[٢] إلى الشام ومروره بحمص ان بها مدرسة واعتقد انها العصرونية لأن المصادر تجمع على ان نور الدين المتوفى عام ٥٦٩هـ قد أقام مدرسة في حمص لابن أبي عصرون.

ولم استطع العثور على نصوص أصيلة تميط اللثام عن وصف هذه المدرسة أو ممن علم بها أو عن وقفها أو احد موظفيها. وكل ما حصلت عليه نصوصاً تبرهن وتثبت ان في حمص أقيمت مدرسة أقامها نور الدين محمود زنكي اكراماً لشرف الدين عبدالله بن أبي عصرون فقط. وعرفت بالمدرسة العصرونية.

خامساً: عصرونية بعلبك:

تذكر المصادر فيما تذكره ان نور الدين زنكي أقام مدرسة في بعلبك اكراما لشرف الدين عبدالله بن أبي عصرون كما مر[٣] ولكن هذه المصادر لم تعط مزيداً من التفاصيل عن هذه المدرسة عن موقعها وسنة إقامتها وموظفيها ومدرسيها كغيرها من المدارس العصرونية مثلاً.

سادساً:عصرونية منبج:

وهذه المدرسة هي الأخرى من جملة المدارس العصرونية التي انشأها نور

(١) العسقلاني: الدرر الكامنة ٣/٣٤.

(٢) ابن جبير: رحلته ص ٢٣٢.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٥٤.

الدين محمود بن زنكي لعبدالله بن أبي عصرون والمؤكد انه أقامها قبل وفاته عام ٥٦٩هـ[١]. وقد ذكر ابن جبير كذلك اثناء مروره في منبج ان أهلها شافعيون. وهي مطهرة بهم من أهل المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة. ولا يتأتى هذا إلا بانتشار العلم والتعليم. ولا شك ان مدرسة ابن أبي عصرون والتي لم يذكرها ابن جبير صراحة لها دور الصدارة في هذا الموضوع. ولعل عدم ذكره لها انها لم تكن كبيرة البناء تلفت النظر اليها لوصفها ولكنها من المؤكد انها بقيت عاملاً هاما وسببا رئيساً في ابقاء أهل منبج على شافعيتهم لان المدارس العصرونية شافعيَّة وشرط الواقف ان تظل كذلك[٢].

سابعاً: عصرونية الرحبة:

ورد في وفيات الاعيان لابن خلكان[٣] ان هناك مدرسة أخرى في الرحبة تدعى بالعصرونية وهي من جملة المدارس التي أقامها نور الدين لابن أبي عصرون وقد قامت بدورها في نشر العلم والنهضة بعملية التعليم في المنطقة.

ولم يرد في المصادر الأخرى تركيزٌ على هذه المدرسة أو اعطاء المزيد من المعلومات المفيدة عنها بل ظلت معلوماتنا الأكيدة عنها من خلال ما كتبه ابن خلكان. ولا يستبعد عن نور الدين أنه أقام مدرسة في الرحبة وغيرها من مدن الشام والجزيرة وغيرها من البلاد التي ضمتها دولته جريا على سياسته في نشر المدارس هنا وهناك لينتج شعبا متعلماً يدعم دولته الكبيرة.

= أحمد بدوي: الحياة العقلية في بلاد الشام ص ٧٤.

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ٥/١٨٠.

محمد كرد علي: خطط الشام ص ١٣٠.

أحمد بدوي: الحياة العلمية في بلاد الشام ص ٧٤.

(٢) ابن جبير: رحلته ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/١٨٥.

الخاتمة

يعتبر القرن الخامس الهجري بداية ازدهار المدارس منذ ايام نظام الملك الوزير السلجوقي الذي أقام نظامياته العشر في سائر بقاع المشرق الإسلامي. ثم جاء الزنكيون والأيوبيون من بعده وسلكوا نفس النهج وتوسعوا في انشاء المدارس حكاماً وامراء وقادة، نساءً ورجالاً.

وفي مثل هذا الجو العلمي ظهر الإمام عبدالله بن ابي عصرون وقد استطاع ان يحوز على ثقة نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي فيما بعد. وهذا ما اظهرته من خلال البحث. ثم أقام نور الدين لعبدالله بن ابي عصرون عدة مدارس في مدن الشام الشمالية في حلب وحمص وحماة ومنبج وبعلبك والرحبة بالاضافه الى مدرسة دمشق.

وقد تتبعت انشاء هذه المدارس وأظهرت أن مدرسة دمشق قد أقامها عبدالله بن أبي عصرون نفسه. وقد أرخت لهذه المدارس بمقدار ما أمدتني به المصادر من معلومات أكيدة وترجمت لعلمائها وموظفيها ما وسعني الجهد والبحث.